

# العذراء القديسة مريم

## وحياة التسليم الكامل

### مقدمة

نحتفل في التاسع والعشرين من كل شهر قبطي بتذكار عيد البشارة المجيد لأنه كان في مثل هذا اليوم ظهور رئيس الملائكة غبريال وبشارة العذراء القديسة مريم ، هذه البشارة تحتفل بها الكنيسة لأنها بشارة أعطت فرحاً للعالم ، بمجيء المخلص الرب يسوع ، ويعطينا الإنجيل المقدس صورة عن حياة السيدة العذراء التي استحقت هذه البشارة ، إننا نجد فيها أكثر من صفة مقدسة وأكثر من فضيلة التي بها استحقت أن تحمل الله في أحشائها الذي انتظره العالم ، إننا نجد أن السيدة العذراء

تعطي مثالا كاملاً لكل فضيلة ومن بين الفضائل التي لا تُحصى في حياة السيدة العذراء فضيلة التسليم .

رغم قلة مواقف وكلمات السيدة العذراء في الكتاب المقدس إلا إننا سوف نلاحظ في هذا البحث المتواضع أنه لا يوجد موقف واحد أو مقولة واحدة للسيدة العذراء تخلو من فضيلة التسليم وذلك منذ ميلادها ونشأتها في الهيكل وحتى نياحتها وصعود جسدها إلى السماء .

لقد كانت فضيلة وحياة التسليم مصدر فرح وسلام عند كل آبائنا القديسين وذلك في كل مراحل وأمور حياتهم ، تلك الحياة التي تسلموها من العذراء القديسة مريم التي هي المثل البشري الأعلى في كل الفضائل .

لقد تعلم آبائنا القديسين حياة التسليم وقدموا كل حياتهم لله ، لكي ما يديرها ويقودها حسب إرادته وحسب معرفته

الحكمة ، لأنه بهذا يستطيع الإنسان أن يعيش في فرح دائم بسبب تسليم حياته بالكامل للملك الملوك ورب الأرباب .

ولكي تتعلم حياة التسليم من العذراء القديسة سوف ندرس معاً الدوافع التي دفعها لأن تعيش حياة التسليم الكامل ، ولكي تشجع في ممارسة هذه الفضيلة الجميلة سوف تذاكر البركات التي حصلت عليها القديسة مريم نتيجة تسليم حياتها بالكامل في يد ابنها ومخلصها ربنا يسوع المسيح . وذلك لكي تشجع جميعاً ونسير على درب سيرتها الطاهرة في تسليم قلوبنا لمن يستطيع أن يدبر كل حياتنا ليصل بنا إلى ملكوته السماوي الذي هو كمال كل الفضائل .

الله قادر أن يعطينا أن نجلس عند قدمي السيدة العذراء لنستقي منها سر فرحها الدائم وهدوئها العميق ألا وهو تسليمها الكامل لإرادة ابنها رب المجد يسوع المسيح ذلك بشفاعاتها

وبشفاعات رؤساء الملائكة الأطهار وناظر الإله الإنجيلي مرقص  
الرسول والقديس العظيم أنبا أبرام أسقف الفيوم والجيزة وكافة  
الملائكة و الشهداء والقدسين ، وصلوات البابا المعظم أنبا  
تواضروس الثاني بابا وبطريك الكرازة المرقسية وسائر بلاد  
المهجر .

ولإلهنا المجد والإكرام منذ الأزل والآن وكل أوان وإلى دهر  
الدهور آمين .

## أولاً : مظاهر حياة التسليم عند العذراء القديسة مريم

سوف نبدأ أولاً بمظاهر حياة التسليم في حياة السيدة العذراء  
عبر مراحل حياتها على الأرض :-

### العذراء القديسة في الهيكل

السيدة العذراء منذ بدء حياتها نجد حياة التسليم ظاهرة ،  
لقد تنيح والديها يواقيم وحنة وهي في عمر السادسة ،لسان  
حال السيدة العذراء يرثم ترنيمة التسليم الكامل مع داود النبي  
قائلاً " أبي وأمي قد تركاني ،أما الرب فضمني " (مز 27 :  
10) .

معظم البشر عندما يرون مثل هذا الموقف بأن يسمح الله بموت  
أحد الوالدين أو كليهما تاركين أطفالاً مثل السيدة العذراء

نجدهم يتعبون ويتذمرون ولا يسلمون لمن سمح بذلك، نجدهم يقولون لماذا فعل الله هكذا ؟! وما ذنب هؤلاء الأطفال ؟! ومن الذي يقوم بتربيتهم ؟!

هؤلاء الناس يتناسون أنه يوجد أب سمائي يرعى ويربي، ذلك الذي وعدنا قائلاً " هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك (اش 49 : 15) .

أنهم لم يتذكروا أن ذلك الأب السماوي المكتوب عنه قديماً " المعطي للبهائم طعامها (مز 147 : 9) . والقائل لنا حديثاً " انظروا إلى طيور السماء أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها أستم أنتم بالحري أفضل منها (مت 6 : 26)

ليتنا عندما يقابلنا موقف مثل هذا الموقف تذكر السيدة العذراء كيف تعرضت لمثل هذا الموقف وهي التي استحقت

بعد ذلك أن تلد من بطنها ملك الملوك التي استحقت بحق أن تدعى والدة الإله .

ليتنا نتعلم في كل مواقف حياتنا وفي حياة تسليم كامل نقول ( يا ربي فلتكن أراذلك ومشيتك في كل حياتنا ) ، مرددين مع القديس بولس الرسول القائل " كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده (رو 8 : 28) .

لقد عاشت السيدة العذراء في الهيكل حياة قاسية مسلمة كل أمورها في يدي الرب القدير، لتخيل معاً القديسة العذراء وهي طفلة صغيرة في الهيكل كل حياتها عبارة عن خدمة وصلاة وصوم بعيداً عن أي ترفيه أو تسلية .

ليس من المستبعد أن مثل هذه التنشئة الروحية للسيدة العذراء هي التي جعلتها تعيش فضيلة التسليم الكامل في كل حياتها بعد

ذلك ، لقد اختبرت تعزيات السماء ورعايتها لها منذ صغرها

هناك نبي في العهد القديم يشبه كثيراً السيدة العذراء في تنشئته وهو صموئيل النبي الذي أودعاه أبواه الهيكل مع عالي الكاهن مع الفارق فقد كان والديه ما زالوا على قيد الحياة وكانا يزورانهم معزيان إياه بما يحضروه معهم من ملابس وطعام .

يوحنا المعمدان أيضاً الذي جعله يعيش حياة التسليم الكامل تشابهه مع السيدة العذراء ، وجميعنا يعلم استشهاد القديس زكريا الكاهن وكيف حمل ملاك الرب يوحنا الطفل إلى البرية .

ليتنا نعلم أن للسيد الرب تدايره العجيبة مع قديسيه ، ليتنا نتأمل كيف وبنفس الطريقة كيف أعد صموئيل لكي يصبح صموئيل النبي العظيم ، وكيف أعد يوحنا المعمدان لكي يكون الملاك الذي يمهّد الطريق للسيد الرب ، وكيف أعد السيدة العذراء

القديسة لكي تصبح والدة الإله الشفيعة الأمانة لكل الجنس  
البشري .

ما أجمل أن نضع أمام أعيننا دائماً عند مواجهة أي موقف  
صعب لا نفهمه قول السيد المسيح للقديس بطرس " لست تعلم  
أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد (يو 13 :  
(7

ليتنا نقوم بالمقارنة بين الأمثلة السابقة وأطفالنا في هذه الأيام  
وكيفية تنشئتهم وكيف يكبرون بعيداً عن السيد المسيح مصدر  
كل فرح واطمئنان وذلك عندما تعود بأن نسلم أمور حياتنا في  
يديه عائشين له بكل أمانة .

ليتنا نتعلم كيف نربي أولادنا منذ الصغر داخل الكنيسة وكيف  
نجعل من بيوتنا كنيسة وهيكلًا للروح القدس لكي يشبوا أطفالنا  
على تعلم الفضائل التي تجعلهم يعيشون طوال حياتهم حياة

التسليم الكامل فرحين مثل ما كانت السيدة العذراء في داخل الهيكل .

ولكي نعرف معاناة السيدة العذراء في مثل هذه السن المبكرة وكيف تعلمت حياة التسليم الكامل ، لننظر إلى أطفالنا في مثل هذه الأيام وكيف لا يهتمون بالجلوس في الكنيسة لمدة ساعتين رغم ترغيب الأهل والخدام لهم بالجوائز والمسابقات ورحلات الترفيه والتسلية .

لقد عاشت السيدة العذراء حياة التسليم الكامل لله في الهيكل بدون هذه الاحتياجات ، وهي صغيرة ، تعلمت كيف تسلم حياتها لله وتحمل الحياة القاسية .

## هوذا أنا أمة الرب

لقد عاشت العذراء القديسة مريم في الهيكل منذ سن السادسة وحتى بشارة رئيس الملائكة غبريال لها بمجبتها وميلادها للسيد المسيح .

في جواب العذراء القديسة للملاك تساؤل في ظاهره لا يوجد تسليم ولكن في حقيقته عكس ذلك .

وجواب العذراء هو هذا " كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً (لو 1 : 34)

لقد نذرت العذراء نفسها أمام الله لحياة البتولية والرهينة ، وكانت تساؤلها استفساري وليس اعتراضى ، بمعنى أنها تسأل

كيف يتم الحبل بالسيد المسيح ، هل بكسر نذرها، أم أن هناك طريقة أخرى، هي تريد أن تفهم فقط في حياة تسليم كامل .

وعندما شرح لها الملاك كيف أن الروح القدس يحل عليها وقوة العلي تظللها قالت مقولتها التاريخية الشهيرة ، تلك المقولة التي هي المبدأ الأول والرئيسي لكل من يريد أن يحيا حياة التسليم ، وتلك العبارة هي " هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك (لو 1 :

(38

إنها مع كل محبتها للبتولية والوحدة للهيكل قالوا لها ستخطبين لرجل ... تعيشين في بيت واحد معه وتتركين الهيكل ، قالت " ليكن لي كقولك لتكن مشيئتك " .

العذراء مريم لم تكن على الإطلاق تفكر أنها يمكن أن تحبل وتلد ابناً ...

لكن جاءتها المشيئة الإلهية فتخلت عن مشيئتها الخاصة . .  
إنها طوع إرادة الرب . . . كلما أراد الله لها شيئاً تقول " ليكن  
لي كهولك " كانت حياة التسليم منهجاً ثابتاً عندها .

وتيجة لحياة التسليم هذه احتفظ الرب لها بتولية دائمة مع  
تسليمها بميلاد الابن الإلهي ومخلص العالم كله ربنا يسوع المسيح .  
لقد كانت السيدة العذراء تحب الصلاة والتأمل والعبادة ، لكن  
ربنا ينقلها من الهيكل إلى بيت يوسف . . . إلى بيت لحم . . إلى  
مصر . . إلى الناصرة . . إلى الجليل ، نجدها لا تعترض ولا  
تحتج ولا تتذمر .

ليس لديها سوى عبارة واحدة " ليكن لي كهولك " ، دائماً تسلم  
كل أمورها إلى الله .

الأغلبية من الناس يتحIRON في اختيار طريقهم ما بين حياة البولية والزواج وحياة التكريس ، والبعض يُدَمِر إن لم يختار الله له ما كان يريدُه وخاصة لو كان يفكر في الرهينة .

ليت مثل هذا الإنسان وكل إنسان مسيحي يتعلم من السيدة العذراء مقولتها الشهيرة " ليكن لي كقولك " .

لينا عندما نختار في اختيار طريقنا أو عندما يختار لنا الله الطريق المناسب أن تذكر مع السيدة العذراء قول إرميا النبي " ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته (ار 10 : 23) ، وداود النبي القائل " سلم للرب طريقك و اتكل عليه و هو يجري (مز 37 : 5) .

علينا فقط أن نعيش بأمانة محددين الهدف الرئيسي لحياتنا وهو حياة النقاوة وملكوت السموات وثق في أن الله يدبر كل أمور

حياتنا ونحن نعيش في حياة تسليم كامل وطاعة لمشيئته الصالحة .

ليتنا نعلم أن الرهبنة والزواج والتكريس ما هي إلا وسائل وليس أهداف تساعدنا على الوصول إلى هدفنا الأسمى والأعلى .  
الله هو المخطط والمدبر لنا ، والذي يعيش حياة التسليم بعيد كل البعد عن فرض أي طريق أو التصميم عليه ، كذلك بعيد كل البعد عن أي تعب أو تدمير حين لا يختار الله له طريق معين .

السيدة العذراء مثل كبير لنا فهي رغم نذرها للبتولية إلا إنها لم تعترض أن تكون أماً بل قالت في حياة تسليم كامل " هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كهولك " .

لا ننسى أن نقول أن العذراء القديسة مريم وهي ما زالت فتاة صغيرة قد تفوقت على الكاهن الشيخ زكريا الكاهن في إيمانها وتسليمها الكامل ، مع أن الفارق عظيماً فقد بشرها الملاك

بميلاد السيد المسيح دون زرع بشر وهذا لم يحدث من قبل  
، بينما نجد احتجاج زكريا الكاهن بشيخوخته ومماتية مستودع  
سارة وهذا حدث من قبل وقد قرأه زكريا الكاهن في قصة أبينا  
إبراهيم مع أمنا سارة .

### أراد تخليتها سرا

القديسة العذراء مريم مثال عظيم في حياة التسليم الكامل  
، نجدها لا تعترض ولا تتذمر على اختيار شيخ نجار بسيط  
لكي يتولى رعايتها . لم تعترض على بيت يوسف النجار سواء  
كان غنياً أو فقيراً .

الفقر ليس سبباً يمنع حياة التسليم الكامل بل على العكس نجد  
أن أكثر الناس تسليماً لمشية الله هم البسطاء والفقراء عكس

الأغنياء الذين يملكون المال والغنى الذي هو أكبر هم يمنع الإنسان عن تسليم حياته للسيد المسيح .

ليت كل قتي وقتاة يقبلان على اختيار شريك الحياة أن لا يضعون شرط الغنى المادي بل يضعون الله أمامهم يعيشون له وسوف يختار الله لكل واحد الشخص المناسب .

الكتاب المقدس يوصينا على فم السيد المسيح " اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم (مت 6 : 33) .

لا شك أن أقوى موقف تحمته العذراء القديسة مريم كان بالطبع شك القديس يوسف النجار الذي لبره أراد تخليتها سراً .

في هذا الموقف نجد العذراء القديسة لا تدافع عن نفسها ولا نجدها تحكي قصة الملاك الذي ظهر لها لأنه سوف لا يصدقها

أحد لأنه لم يحدث ذلك من قبل، ولكنها في حياة تسليم كامل كانت واثقة كل الثقة في الرب الذي يدافع عنا ونحن صامتون .

العدراء القديسة كانت تعلم أن الله هو العارف والمطلع ليس على مظاهر الناس بل على قلوبهم وخبائهم، كما كانت تعلم رحمته وعدله وأنه لا يوافق على الظلم لذا كانت خاضعة في تسليم كامل لمشيئته واثقة في عنايته ورعايته .

ليتنا لا نفقد سلامنا أو هدوتنا إذا ما تعرضنا لأي اتهام باطل. سواء هذا الاتهام كان من القريب أو البعيد بل نتعلم حياة التسليم الكامل من العذراء القديسة مريم وما دمنا نعيش بأمانة مع السيد المسيح نثق أنه سيدخل وسيحل كل المشاكل .

ما أشبه الليلة بالبارحة فلدينا في العهد القديم من يشبه العذراء القديسة مريم وهي سوسنة العفيفة واتهامها باطلاً من الشيخين الذين أرادوا أن يفعلوا معها الشر واتهامها لها بالخطيئة زوراً

،ماذا فعلت هذه القديسة ؟! فعلت كما فعلت أمنا العذراء  
وكمل يجب أن يفعل كل إنسان متوكل على الله فهكذا نجد  
مكتوب عنها أنها " رفعت طرفها إلى السماء وهي باكية لان  
قلبا كان متوكلا على الرب (دا 13 : 35) .

ماذا كانت النتيجة ؟! النتيجة واحدة ومضمونة أنه كما أرسل  
الرب رئيس الملائكة للقديس يوسف البار وأظهر براءة العذراء  
القديسة هكذا أرسل الرب نبيه دانيال ليظهر براءة القديسة  
سوسنة العفيفة .

حياة التسليم كانت تنبع عند القديسة العذراء من إيمانها العميق  
بوجود الله ومعيته معها وذلك نتيجة لبرها وقداستها .

## في بيت لحم

عندما تتخيل معاً العذراء القديسة مريم في بيت لحم كيف  
وقفت في ذلك الازدحام لكي تكتب مع يوسف رجلها ،وبعد  
ذلك عندما كانا يبحثان عن مكان لتلد فيه العذراء القديسة  
مريم رب المجد يسوع المسيح ،ولم يجدا سوى مذود للبهائم ،  
لا بيت ولا فندق ولا حتى غرفة حقيرة . . إنه مزود حيوانات

رغم ذلك نجد العذراء القديسة لم تعترض ولم تتذمر ولم تقل أين  
كلام الملاك عن المولود الإلهي ،وكيف أضع القدوس ابن الله في  
هذا المكان ؟!

لم تفعل العذراء القديسة مريم ذلك بل في تسليم كامل لمشية الله  
كانت تردد قول الكتاب المقدس " هو الرب ما يحسن في عينيه  
يعمل (1صم 3 : 18) .

وتيجة حياة التسليم الكامل نجد المذود قد تحول إلى سماء  
لنزول الملائكة مع الحانهم الجميلة ومجيء الرعاة والمجوس لكي  
يشهدوا للمولود الإلهي .

أن أفقر مكان في الدنيا مع حياة شكر وتسليم وفرح أفضل من  
أعظم قصر مع حياة تدمر مثلما قال سليمان الحكيم في أمثاله "  
لقمة يابسة و معها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام  
... السكنى في زاوية السطح خير من امرأة مخاصمة و بيت  
مشترك (ام 17 ، 21 ) .

## قم خذ الصبي وأمه

نجد أنه بعد بشارة رئيس الملائكة للعدراء القديسة مريم بأنها ستلد القدوس ابن الله الذي سيملك على بيت يعقوب ولا يكون لملكه نهاية، نجد بعد ذلك أن نفس رئيس الملائكة يظهر ليوسف البار ويوصيه بالذهاب إلى مصر لأن هيرودس يطلب نفس الصبي .

وتيجة لذلك نجد العدراء القديسة في حياة تسليم كامل لا تعترض على مشيئة الله حسب الفكر البشري، فكيف تهرب ومعها السيد المسيح ابن الله ملك الملوك ورب الأرباب، هل

السيد المسيح لا يستطيع أن يحميني لو مكثت ولم أذهب إلى مصر ؟! من هو هيرودس هذا أمام السيد المسيح ؟!

السيدة العذراء لم تفكر في كل ذلك لكنها علمت أن الله يريد منها ومن يوسف البار الذهاب إلى مصر وتعرف أن هذه هي إرادة الله ، بكل خضوع تقول يا رب فلتكن مشيئتك .

مع أن بشرى الميلاد كانت تحمل معنى الفرح حيث قال الملاك للرعاة "فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب (لو 2 : 10) .

إلا أنه بدل من هذا الفرح يأتي أمر إلهي إلى السيدة العذراء في ظهور ملاك الرب ليوسف في حلم : " قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر (مت 2 : 13) .

وتهرب العذراء القديسة وترتحل من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان وخلال ذلك لم يكن لديها سوى أنشودتها الجميلة التي لا تعرف سواها " ليكن لي كقولك " .

لتكن مشيئتك يا رب ،لم نسمع أن العذراء اعترضت أو احتجت أو تدمرت أبداً ،في كل مراحل حياتها توافق دائماً . تعيش حياة التسليم راضية بالمشيئة الإلهية التي تريدها السماء .

العذراء مريم تعرف جيداً أنه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء .

السيدة العذراء والقديس يوسف البار لم يكونا قد ذهبنا إلى مصر من قبل ،ولا يعرفون الطريق ،كما أنهم لم يكونوا يعرفون لغة أهل مصر ،وكيف سيصلون ومتى ؟! لم يكن لديهم وسيلة مواصلات فوسيلة المواصلات الوحيدة هي الدابة لأنهم لم يكونوا

يملكون وسيلة مواصلات أخرى ، كما أن أهل مصر وثنيين فكيف يعيشون بينهم وهل من مخاطر تنتظرهم وسط الجبال الوعرة التي سيعبرون بينها وكيف سيدبرون أمور حياتهم .

السيدة العذراء لم تفكر هكذا بل هي تعلم جيداً أن الله هو مدبر الكون وضابطه ومادام سمح لهم بالهرب فهو الراعي الصالح الذي سيرعاهم .

هذا الموقف الذي يتسم بحياة التسليم الكامل من جانب السيدة العذراء يتشابه إلى حد كبير مع موقف أبينا إبراهيم الذي أمره الله أن يخرج من أرضه وعشيرته وبيت أبيه إلى الأرض التي سوف يريه إياها ، ففي حياة تسليم كامل أطاع إبراهيم كما تكلم عنه القديس بولس الرسول قائلاً " بالإيمان إبراهيم لما دعني أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي " ( عب 11 : 8 ) .

ولكن يوجد فارق فأبينا إبراهيم كان غنياً عكس السيدة العذراء مع زوجها يوسف النجار البسيط .

لقد عاشت القديسة العذراء مريم في مصر مع القديس يوسف النجار متغربة في حياة تسليم كامل وهي لا تعرف متى تعود لبيتها في اورشليم بل هي لا تعلم هل تعود أم لا ؟ !

في حياة تسليم كامل احتملت السيدة العذراء السفر الطويل والغربة الصعبة والمخاطر ولا نجد لها تذمر أو تشكو بل كانت راضية وشاكرة وكانت يد الرب تعمل ، فهي كانت تعلم جيداً إن الاتكال على الرب خير من الاتكال على البشر والرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء .

السيدة العذراء كانت تعلم جيداً من بداية رحلتها إلى مصر كيف وقف الرب مع شعبه عند خروجهم من مصر وكيف قادهم إلى أرض فلسطين ، كان لديها الإيمان الكامل في عامود

النار الذي كان يضىء لهم ليلاً، والسحابة التي كانت تظلل عليهم نهاراً، أنها لم تنسى أبداً وعد الرب لشعبه " الرب إلهك سائر معك لا يهملك ولا يتركك (تث 31 : 6)

القديسة العذراء كانت تعلم يقيناً أنها تحمل على ذراعيها الراعي الصالح الذي يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات (اش 40 : 11).

العذراء القديسة كانت تعيش حياة التسليم الكامل لأنها كانت تحفظ بقلبيها قبل لسانها مزمور داود النبي " الرب راعي فلا يعوزني شيء (مز 23 : 1)

بعض الناس عندما تقابلهم الضيقات يذمرون بل ويشكون ليس في رحمة الله وقدرته فقط بل في وجوده، لم تكن العذراء القديسة من أمثال هؤلاء الناس لأن حياة التسليم الكامل التي كانت تعيشها كانت تمنحها السلام والاطمئنان في كل الظروف.

ليتنا نضع في قلوبنا دائماً وفي كل الظروف محبة الله لنا ورحمته بنا وقدرته غير المحدودة فنعيش كما عاشت القديسة العذراء في سلام وأمان .

لقد استمرت حياة التسليم مع العذراء القديسة أثناء رحلتها إلى مصر وخلال مباركتها لأرض مصر وفي نهاية الرحلة نراها تطيع رسالة الملاك بالعودة إلى فلسطين .

يبعث لهم ربنا رسالة عن طريق الملاك ، أرجعوا إلى الناصرة (آه حاضر يا رب نرجع للناصرة) . . حياة تسليم كامل لله . .

يمكننا أن نتعلم أيضاً من حياة العذراء القديسة مريم حياة الطاعة والتسليم بين الأزواج ، لأننا نجد أن الملاك كان يظهر ليوسف حين أخبره بالذهاب إلى أرض مصر ، كذلك عندما بعث الله برسالة العودة إلى أرض إسرائيل وكان ذلك عن طريق ملاك الرب ، أيضاً نجد أن القديس يوسف هو الذي أوحى إليه في

حلم بالذهاب إلى نواحي الجليل السكنى في الناصرة ، وفي كل ذلك نجد العذراء القديسة طائعة في حياة تسليم كامل لإرادة الله وكانت تنفذ وصية القديس بولس الرسول قبل أن تُكتب "أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب (اف 5 : 22)

الإنسان المتضع لا يجد صعوبة في تسليم حياته لربنا في كل طاعة كما كانت السيدة العذراء التي قالت بفمها المبارك " لأنه نظر إلى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني (لو 1 : 48) .

## مهـا قال لكر افعلوه

تضح حياة التسليم الكامل في حياة العذراء القديسة مريم من خلال موقفها في عرس قانا الجليل فعندما فرغ الخمر طلبت من ابنها رب المجد يسوع المسيح أن يتصرف وعرضت عليه المشكلة " ليس لهم خمر (يو 2 : 3) .

نجد هنا أن العذراء القديسة عرضت المشكلة ولم تقترح أو تفرض حلاً، وهذا يعلمنا كيف نطلب ونصلي ونقول في كل مشكلة وفي كل أمر كما علمنا السيد المسيح في الصلاة الربانية " لتكن مشيئتك " ، وكما علمتنا السيدة العذراء في مقولتها المباركة " ليكن لي كقولك " .

السيد المسيح علمنا حياة التسليم في الصلاة وذلك عندما كان في بستان جثيماني عندما صلى إنسانياً للواحد المساوي معه

في الجوهر " يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس و لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت (مت 26 : 39) .

وقد استمرت العذراء القديسة مريم في ممارسة حياة التسليم الكامل فعندما خاطبها السيد المسيح قائلاً " يا امرأة لم تأتِ ساعتى بعد (يو 2 : 4)، نجدها لم تعترض بل في تسليم كامل لمشيئته قالت للخدام " مهما قال لكم فافعلوه (يو 2 : 5) .

العذراء القديسة مريم لا تمارس فقط حياة التسليم الكامل بل تعلمنا إياه، تعلمنا كما تعلم الخدام أن مهما قال لنا السيد المسيح من وصايا أن نفعله دون اعتراض أو تذمر فهذا فيه خيرنا وسلامنا .

وتيجة لحياة التسليم الكامل للعذراء القديسة وتكريماً لها قام السيد المسيح بتحويل الماء خمرًا رغم أن ساعته لم تكن قد جاءت بعد .

الإنسان الذي يعيش حياة التسليم يعمل بكل طاقته ما يجب عليه فعله تاركاً في النهاية كل الأمور تسير حسب مشيئة مدبر كل الأمور، هكذا فعلت العذراء عندما طلبت من الخدام أن مهما قال لكم فافعلوه .

## العدراء القديسة تحت الصليب

لقد تجلت حياة التسليم الكامل في حياة السيدة العذراء وقت سماعها عن القبض على السيد المسيح ورؤيتها للمحاكمة وللآلام ووجودها بالقرب من صليب ابنها .

نعم لقد تنبأ سمعان الشيخ للسيدة العذراء " وأنت أيضا يجوز في نفسك سيف (لو 2 : 35) ..

وربما ألمح السيد المسيح لأمه العذراء بصليبه وآلامه كما كان يفعل مع تلاميذه، ولكن لا أحد كان يتخيل أن يكون الوضع بهذه الفظاعة .

ماذا فعلت القديسة مريم إزاء أصعب المواقف التي يمكن أن  
تعرض لها أي أم ، لا أن تفقد ابنها الحبيب فقط بل تكون  
حاضرة لآلامه وصلبه دون أي اتهام أو جريمة .

ما أجمل تعابير قطع صلاة الساعة التاسعة بالأجبية التي نصلي  
بها على لسان العذراء القديسة " أما العالم فيفرح بقبوله الخلاص  
،أما أحشائي فتلتهب عند النظر إلى صلبوتك الذي أنت صابر  
عليه من أجل الكل يا ابني وإلهي " .

العذراء القديسة مريم في حياة تسليم كامل كانت تعلم جيداً  
وفي أحلك الظروف والمواقف وكما قال القديس بولس الرسول  
أن " كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (رو 8 :  
(28).

ما أجمل تشابه السيدة العذراء مع أبينا إبراهيم الذي أمره الرب  
قائلاً " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق . . . واصعده  
هناك محرقة (تك 22 : 2) .

ما أجمل حياة الطاعة الكاملة الناتجة عن حياة التسليم الكامل  
في حياة أبينا إبراهيم بأن يأخذ ابنه الوحيد الذي يحبه بل  
ويصحو باكراً ويمسك السكين عازماً على تقديم ابنه محرقة كما  
أوصاه الرب الإله .

نعم هناك تشابه بين السيدة العذراء وأبينا إبراهيم في حياة  
التسليم الكامل مع الفارق، فأبينا إبراهيم لم يري ابنه معلقاً على  
الصليب متألماً ويده ورجلاه مثبتتان بالمسامير جسده كله  
يدمي نتيجة الجلدات وإكليل الشوك فوق رأسه، والبعض  
يستهنون به .

إننا لم نسمع عن العذراء مريم عند الصليب إنها قد اعترضت أو تدمرت ولكنها كانت واثقة تماماً كما هو حال أبنائنا إبراهيم . وقد أفهمنا القديس بولس عن سبب حياة التسليم هذه إذ قال " بالإيمان قدم إبراهيم اسحق و هو مجرب قدم الذي قبل المواعيد وحيد . الذي قيل له أنه بإسحق يُدعى لك نسل . إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من أموات أيضاً ( عب 11 : 17-19 ) .

رغم إننا نراعي كثيراً مشاعر الناس التي يموت أحبائها وخاصة في سن الشباب ولكن ما يؤسف أنه في أحيانا كثيرة تكون هناك تصرفات من الأهل بعيدة كل البعد عن حياة التسليم الكامل التي علمتها إيانا العذراء القديسة وهي تشاهد صليب ابنها الوحيد والحبيب .

على كل إنسان أن يحب الله بكل أمانة، والله سوف يدبر كل أموره ولو سمح بأي تجربة سوف تكون للخير وسيعطي التعزية المناسبة وسيعطي المنفذ لكي نستطيع أن نحتمل .



عندما كانت السيدة العذراء واقفة عند الصليب وقد رآها السيد المسيح ورأي أيضاً التلميذ الذي كان يجبه واقفاً قال لأمه " هوذا ابنك (يو 19 : 26)، وقال للقديس يوحنا الحبيب "هوذا أمك (يو 19 : 27) .

نتيجة لذلك نجد الكتاب المقدس يقول " ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته " دون تأجيل أو تعطيل .

لم نجد السيدة العذراء تعترض بكونها أم مخلص العالم ، كأن لسان  
حالتها يقول كما في كل مرة " ليكن لي كقولك " .

العذراء القديسة مريم نتيجة لحياة التسليم الكامل التي كانت  
تحياها لم نجد لها تعترض على صلب ابنها وفقدانه ، لم نسمعها  
تسأل السيد المسيح لمن تتركني ؟ أو من يرعاني ؟ . . . إنه  
تسليم في كل مراحل الحياة . . . لتكن مشيئتك .  
!؟

العذراء القديسة كانت واثقة أنه لن يتركها وهذا ما فعله السيد  
المسيح بأن دبر لها حياتها مع التلميذ الذي كان يحبه .

## ثانياً: دوافع حياة التسليم عند العذراء القديسة مريم .

لكي نتعلم حياة التسليم وتسلمها من القديسة العذراء مريم علينا أن نتأمل في الدوافع والأسباب التي جعلتها تعيش حياة التسليم الكامل والتي سنوجزها في النقاط الآتية :

معرفة الله معرفة حقيقية،

لا يمكن لأحد أن يعرف الله أكثر من تلك العذراء التي اختبرته في أحشائها ، بعد أن اختبرته في الهيكل ، وفي مخدع الصلاة ، وفي الأسفار الإلهية ...

تسبحه العذراء التي ترنمت بها مع القديسة أليصابات تكشف لنا صفات الله كما عرفته واختبرته العذراء العذراء القديسة وهذه الصفات تتلخص في الآتي :

### (1) الله العظيم :

قالت العذراء " تعظم نفسي الرب " ( لو 1 : 46 )، وقالت أنه صنع بها عظام ( لو 1 : 49 )، ولا يصنع العظام إلا الإله العظيم .

لقد كانت حياة التسليم عند أمنا العذراء نابعة من إيمانها بالله العظيم صاحب الأعمال والآيات والقوة والقدرة العظيمة . كانت العذراء أمام عينها دائماً تلك اليد العظيمة والذراع الرفيعة التي بها أخرج شعبه من وسط أرض مصر . كانت تضع دائماً في قلبها أن الرب إلهها هو إله الإلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ( تث 10 : 7 ) .

عظمة الله توجب علينا أن نسلم حياتنا بين يديه العظيمتين ولا نهاب أو نخشى غيره .

## (2) الله القدير :

قالت العذراء " القدير صنع بي عظامي " ( لو 1 : 49 ) .

أية قدرة أكثر من أن يجعل العذراء البتول أماً بغير زواج . لقد كانت المعرفة الاختيارية للعذراء بقدرة الله دافعاً كبيراً لحياة التسليم الكامل التي لازمتها كل أيامها .

مما لا شك فيه أن العذراء القديسة كانت تعلم جيداً قصة استير الملكة القديسة وما صنع الله القدير بشعبه عندما سلموا إليه حياتهم وذلك بالصوم والصلاة كيف صلت استير الملكة قائلة " الإله القدير على الجميع استجب لأصوات الذين ليس لهم رجاء غيرك ( اس 14 : 19 )

وكيف حدث أن ذلك اليوم الذي كان لهم يوم حزن و نحيب قد حوله لهم الله التقدير إلى فرح (اس 16 : 21) .

لا ينبغي أن ييأس أحد من ضعفه ، ولا يخاف من قوة أعدائه ، فالله التقدير يسند ضعف الإنسان ويحميه .

### (3) الله القوي .

ذكرت السيدة العذراء عن الله أنه " صنع قوة بذراعه " ( لو 1 : 51 )

حين حل بروحه القدوس فضلتها قوته ، فولدت المسيح " قوة الله " ( 1 كو 1 : 24 ) .

لا ينبغي أن يعتز أحد بقوته ، فالله القوي أقوى من جميع جبابرة البأس .

السيدة العذراء كانت تعرف وتؤمن بإلهها الذي " أمراء أدوم أقوياء موآب تأخذهم الرجفة يذوب جميع سكان كنعان من وجهه (خر 15 : 15)، التي تذوب الجبال مثل الشمع قدامه لأنه سيد الأرض كلها (مز 97 : 5) .

الإنسان الذي يؤمن بقوة الله العظيمة لا يخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار (مز 46 : 2)

الذي يعرف ويختبر يد الله القوية يعيش في حياة تسليم بين يديه معتمداً على قول السيد المسيح " أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي (يو 10 : 29)، وفي كل ضيقاته نجده يرغم مع داود النبي " أما أنت فملاجأئي القوي (مز 71 : 7) .

الإنسان الذي يشعر بقوة الله العظيمة لا يخاف أثناء حربه الروحية بل دائماً نجده يقول " هؤلاء بالمركبات و هؤلاء بالخيل أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر (مز 20 : 7) .

#### (4) الله الرحوم .

قالت السيدة العذراء أن الله " رحمته من جيل إلى جيل للذين يتقونه " ( لو 1 : 50 ) . . .

وأية رحمة أكثر من أن يدفع هو أجرة خطية الإنسان فيخلصه من الهلاك بموته عنه على الصليب .

القديسة العذراء كانت تعلم كما علم داود النبي أن " كل سبل الرب رحمة و حق لحافظي عهده و شهاداته (مز 25 : 10) ، وهكذا خاطبه طوبيا العظيم " عادل أنت أيها الرب و جميع أحكامك مستقيمة و طرقك كلها رحمة و حق و حكم (طوبيا 3 : 2) .

## (5) الله المتواضع :

جاء في تسبحة العذراء قولها أنه " رفع المتضعين " ( لو 1 : 52 ) . . والذي يرفع المتضعين لا يمكن أن يكون متكبراً بل متواضعاً .

الرب يدعونا " تعلموا مني لأني وديع و متواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم ( مت 11 : 29 ) .

رغم عظمة وقوة وقدرة الله إلا أن العذراء كانت تعرف وتؤمن بأنه أيضاً رحوم ومتواضع وهذا ما يجعل الإنسان يعيش معه حياة التسليم الكامل دون خوف أو اضطراب حتى لو مر الإنسان بفترات ضعف أو تقصير .

## (6) الله الذي فيه الكفاية :

ورد في التسبحة قولها أن الله " أشبع الجياع خيرات " ( لو 1 : 53 ) .

العدراء كانت تعلم كيف أشبع الله الشعب في البرية منا وسلوى  
طوال أربعين عاماً .

الذي قال بضمه الطاهر " انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع و  
لا تحصد و لا تجمع إلى مخازن و أبوكم السماوي يقوتها أستم  
أتم بالحري أفضل منها (مت 6 : 26) .

لمعرفة العدراء بأن الله فيه كل الكفاية وكل الشبع الروحي  
والجسدي والنفسي كانت تعيش حياة التسليم الكامل ملقية كل  
همومها على القادر أن يعولها ويرعاها ويكفيها بالخيرات .

دعونا جميعاً نتعلم من السيدة العدراء أن نعيش وصية السيد  
المسيح " لا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره  
(مت 6 : 34) .

كذلك نعيش وصيته القائلة " لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون و بما تشربون و لا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام و الجسد أفضل من اللباس (مت 6 : 25) ..

ليتنا نطلب ملكوت الله و هذه كلها سوف تزداد لنا (مت 6 : 33).

### (7) الله الصادق .

قالت القديسة مريم عن الله أنه " عضد قناه .. كما كلم آبائنا ( لو 1 : 55) ..

القديسة العذراء كانت تعلم أن الله كان صادقاً فيما أعطى من وعود للآباء ، و ما تكلم به من نوبات على السنة أنبيائه .

ليتنا نتعلم من العذراء مريم أن نشق في وعود الله و ننتظر في إيمان و تسليم كامل إتمام هذه الوعود في الوقت الذي يراه مناسباً دون أن نتعجل تحقيقها .

## (8) الله الفادي والمخلص :

قالت السيدة العذراء " تبتهج روحي بالله مخلصي " ( لو 1 : 47 ) .

العذراء القديسة كانت تعلم جيداً أن الله هو المخلص ، ليس هذا فقط بل أنه " ليس بأحد غيره الخلاص " ( 4 : 12 )

القديسة مريم كانت تعلم جيداً أن الله قادر أن يخلصها ويحفظها سواء وهي طفلة وحيدة في الهيكل ، أو وهي فتاة في بيت يوسف ، أو من هيروودس الملك .

بالإجمال يمكننا أن نقول أن العذراء القديسة كانت واثقة أن الله سوف يحفظها من كل إنسان وفي كل مكان وأثناء كل الظروف والأحوال . لذا كانت دائمة تعيش حياة الفرح والسلام الدائم الناتج عن حياة التسليم الكامل .

## الإيمان العملي المعاش

لقد شهدت القديسة أليصابات بالروح القدس للعدراء القديسة  
قائلة " طوبى للتي أمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب (لو 1  
: 45)

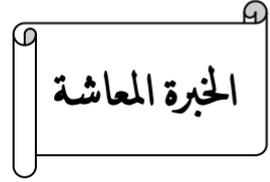
السيد المسيح قال لمرثا قبل إقامة لعازر من بين الأموات " ألم  
أقل لك إن أمنت ترين مجد الله (يو 11 : 40) .

حقاً أن الذي لديه الإيمان سوف يري مجد الله، والعدراء  
القديسة مريم لأنها كان لديها الإيمان المعاش والمختبر تشرفت  
بأن رأت ليس مجد الله في أعماله فقط، بل رأت الله نفسه  
وحملته في أحشائها .

العذراء القديسة لإيمانها لم تحمل الله في أحشائها فقط بل كانت تعيش مع الله بقلبها وذهنها وروحها وحياتها كلها فقد كانت متفرغة تماماً لعبادة الرب في الهيكل، ولم يكن يشغلها شئ من الأشياء، عن الصلوات والتأملات والقراءات المستمرة في الناموس والشريعة .

كان الله في قلبها وعقلها وذهنها . دون أن تنساه لحظة . لذا كانت العناية الإلهية ترقبها وتلاحظها وتسمو بها إلى آفاق عالية من الروحانية ، لقد كان وجود الرب في حياة القديسة مريم يعطيها سلاماً وهدوءاً وراحة نفسية لا يشوبها قلق أو اضطراب ، وهي بإيمان كانت تري الله أمامها ، هذا الإيمان الذي امتازت به العذرا القديسة جعلها تضع كل حياتها بين الله الذي أمنت به .

العذراء مريم في إيمانها وفي حياة التسليم الكامل التي عاشتها وتوكلها على الرب بكل قلبها كانت حقاً مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع بل يسكن إلى الدهر (مز 125 : 1).



ما دفع العذراء القديسة مريم لمحبة حياة التسليم الكامل تلك الخبرة المعاشة وحسب ما شهد لها الوحي المقدس القائل " وأما مريم كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها (لو 2 : 19) .

لقد كان صمت العذراء القديسة مريم وهدوئها دليل تأملها الدائم سواء في الكتاب المقدس التي كانت تحفظ جزءاً كبيراً منه ودليلنا لذلك تسبحتها الجميلة التي ترنمتها مع القديسة

أليصابات المقتبسة من كلمات الكتاب المقدس في العهد القديم .  
بجانب الكتاب المقدس كانت العذراء القديسة مريم تذكّر دائماً  
صنائع الرب معها ومن خلال هذه التأمّلات الجميلة تعيش في  
حياة تسليم كامل للرب التي اختبرته واختبره الأنبياء والقديسين

ليتنا نتعلم من أمنا العذراء الخبرة المعاشة وحياة التسليم وتكون  
أمام أعيننا كما كان أمام عينيها وصية الكتاب المقدس القائلة "  
انظروا إلى الأجيال القديمة و تأملوا هل توكل احد على الرب  
فخزي (سيراخ 2 : 11)

آباءنا القديسين استطاعوا أن يصلوا لحياة التسليم الكامل لأنهم  
اختبروا الله .

من الطبيعي عندما يختار أي إنسان صديق له يجب أن يعرف  
ويتأكد أنه بالفعل يخاف عليه وعندما يستشير في موضوع يشعر

أن مشورته مشورة صالحة وبالخبرة وكثرة التعامل مع ذلك الصديق يتأكد أن هذا الصديق مخلص ويمكنه أن يعتمد عليه .

كذلك آبائنا القديسين قد اتخذوا من الله صديقاً لهم وقد اختبروا وعلموا أن ربنا يستطيع أن يعطيهم الإرشاد السليم في أي أمر ويخاف عليهم في كل موضوع .

لينا نتعلم من العذراء القديسة ومن آبائنا القديسين كيف نسلم حياتنا كلها في يد الله ، نستشير في كل خطوة وقبل البدء في أي عمل ، وقبل كل أمر .

تذكر عمل الله الدائم في حياتنا يجعلنا نصل إلى حياة التسليم الكامل لمشيئته مثلما كان في القديم في تاريخ الملوك وكل تاريخ الأنبياء مكتوب أنه عندما يكون ملك أو أحد الأنبياء عندما تأتي عليه فترة فتور يتدمى يبحث في تاريخه القديم وعندما

يتعرف كيف وقف معه الله منذ عشر سنوات أو خمس سنوات يجعله ذلك يتمسك بالله كثيراً .

لكن مشكلتنا إننا نلح على ربنا في وقت الضيق وقت حاجتنا إليه وعندما يقضي لنا حاجتنا ننسى الموضوع وكأنه لم يكن ، من منا يشكر الله على وقوفه معه أيام الدراسة في الثانوية وكيف كنا نصلي بدموع ونذهب للتناول ولكننا عندما ننجح أو ننال ما طلبنا من الله ننسى فضل الله علينا .

لقد كان شعب إسرائيل من هذا النوع الذي ينسى عمل الله معه فنراه كثيراً ما يقلق ويضطرب لأجل أشياء قد جربوا فيها قوة الله من قبل ، فكم صنع الرب معهم من آيات وعجائب من عبور البحر ونزول المن والسلوى إلى عمود السحاب والنار ومع كل ذلك وغيره نجد داود النبي يقول عنهم " نسوا الله مخلصهم الصانع عظامم في مصر (مز 106 : 21) .

العذراء القديسة مريم لم تكن من هذا النوع بل كانت دائمة التفكير في قلبها بعمل الله معها وكان ذلك سبب أساسي في حياة التسليم الكامل التي كانت تحياها بكل أمانة .

ليتنا نتعلم أن نصلي طالبين مشيئة الله في حياتنا ملقين كل همومنا عليه ونطلب منه أن ما يراه صالح يصنعه لنا ويكون معنا فيه ، أما ما يراه عكس ذلك يوقف هذا الأمر حتى لو كانت هذه هي رغبتنا ، عندما نطلب مشيئة الله في كل أمور حياتنا سوف نري ونختبر كيف يتدخل الله ويرشد ولا يتخلى عنا ، ولأن ربنا يحترم إرادة الإنسان ولا يريد أن يسلبها منه نراه لا يتدخل في حياة الانسان دون أن يطلب الإنسان ذلك .

الله قادر ويريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ، ولكنه لا يرغب في ذلك إن لم نريد ونطلب منه ذلك .

الله لا يمكن أن يتخلى عن أي إنسان يطلب من أجل خلاص نفسه بإيمان وفي حياة تسليم كامل .

## الالتضاع الكامل

اتضاع أي إنسان يمكننا أن نقيسه بمنزلة هذا الإنسان ومن أي مقام اتضع ، وهذا ما لاحظناه في العذراء القديسة مريم ، فيها رئيس الملائكة يظهر لها ويبشرها بميلاد ابن الله القدوس ومجلول الروح القدس وتظليل قوة العلي لها ، فكان ردها الوحيد والمتواضع " هوذا أنا أمة الرب (لو 1 : 38) ، الملاك يخبرها بأنها تكن أماً للرب ، تدعوا هي نفسها " أمة الرب " .

ما أسهل على الإنسان المتواضع الذي يشعر بقدره وضعفه أن يسلم حياته للرب لكي يديرها ويدبرها .

ما أجمل أن تمثل بالعدراء القديسة من حيث أن نعمل بكل طاقتنا وقوتنا ما يجب علينا القيام به ،وبعد ذلك نقول عن أنفسنا "إننا عبيد بطالون " (لو 17 : 10) .

مثل هذا التواضع يشجع الله أن يعمل معنا فنختبر مشيئته الصالحة فنزداد تمسكاً به وإيماناً وثقة ونعيش حياة التسليم الكامل بين يديه .

الإنسان المتواضع مثل العدراء القديسة مريم يكون من السهل عليه أن ينفذ الوصية القائلة "توكل على الرب بكل قلبك و على فهمك لا تعتمد (ام 3 : 5) .

يهوديت القديسة في العهد القديم كانت مثلاً للعدراء مريم في تواضعها وتوكلها على الرب فنجدها تقول "يا اله السماوات خالق المياه و رب كل خليفة استجبني أنا المسكينة المتضرعة و المتوكله على رحمتك (يهوديت 9 : 17)

لذلك نجد السيد الرب يستجيب لها لذلك سبحانه قائلة " سبحوا الرب إلهنا الذي لم يخذل المتوكلين عليه (يهوديت 13 : 17) .

حقاً أن الله لا يترك المتوكلين عليه و انه يذل المتوكلين على أنفسهم و المفخرين بقوتهم (يهوديت 6 : 15)

إن الإنسان المتواضع الذي يتكل على الرب ويسلم حياته بين يديه مثل القديسة العذراء نجده دائماً مع داود النبي يذوق وينظر ما أطيب الرب (مز 34 : 8) ، دائماً ما يجعل الرب في فمه ترنيمة جديدة تسيححة لإلهنا (مز 40 : 3)، ويكون مثل

الزيتونة الخضراء في بيت الله (مز 52 : 8)، ويفتخر بكلام الله  
ويتكل عليه فلا يخاف ماذا يصنع به البشر (مز 56 : 4)

### **ثالثاً: بركات حياة التسليم عند العذراء القديسة مريم.**

لكي تشجع في حياة الفضيلة علينا أن ندرس البركات التي  
يجنيها الإنسان الذي يحياها، لذا سوف ندرس في النقاط التالية  
بركات فضيلة التسليم في حياة العذراء القديسة مريم :



من خبرات آبائنا القديسين في الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة  
نجد أن أي إنسان يعيش مع الله حياة التسليم الكامل بكل أمانة  
لا يمكن أن يتخلى عنه الله، نجد أن الله يدافع عنه أكثر مما

يدافع الإنسان عن نفسه لأنه " هو القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا (اف 3 : 20) .

في هذا يتغنى داود النبي قائلاً " كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تخلي عنه ولا ذرية له تلمس خبزاً (مز 37 : 25) .

القديسة العذراء مريم ونتيجة لحياة التسليم الكامل الذي كان يتمثل في صمتها وهدوئها نجد أنها كانت في رعاية كاملة من قبل الله فهو الذي دبر لها الشيخ يوسف البار بطريقة معجزية ، ودبر لها على الصليب رعاية وحنان القديس يوحنا الحبيب ، و من قبل دبر لها أبويها القديسان يواقيم وحنة حيث ولدت من خلال رؤيا سماوية .

وتيجة لتسليمها الكامل وصمتها مع القديس يوسف البار نجد أن الرب نفسه يدافع عنها بأن أرسل إليه الملاك ليعلن له حقيقة حبها المبارك .

ورغم الصعوبات التي عانتها القديسة العذراء من هروب إلى مصر ومن تحمل لصلب وآلام السيد المسيح إلا أن كل الأمور الصعبة التي يتعرض لها الإنسان الذي يعيش حياة التسليم الكامل دائماً ما تتحول إلى أمور للخير، ففي الهروب إلى مصر وجدت العذراء القديسة مريم مع القديس يوسف البار رعاية أفضل من قبل الله، فكم نسمع عن المعجزات التي حدثت في أرض مصر وكيف سقطت أوثان مصر .

أما عن صلب وآلام ابنها فقد كان خلاص للعالم قد رأت القديسة مريم ونالت بركة قيامته المقدسة .

قصة رعاية الله الكاملة تتجلى تجلياً عظيماً مع يوسف الصديق ، كيف رعاه الله وهو البر الجاف ومؤامرة أخوته ، وكيف رعاه الله في السفر مع الاسماعيليين ، وكيف رعاه وأنجحه في بيت فوطيفار وفي السجن حتى أوصله إلى الحكم والملك .

حقاً أن من يسلم لله حياته بكل أمانة وأن مرت به ظروف صعبة سوف يصل إلى الملك كما يوسف البار والسيدة العذراء المكتوب عنها " جلست الملكة عن يمين الملك " (مز 45 : 9).

من المؤكد أن أي إنسان نظرتة محدودة ولا يستطيع أن ينظر إلا ما هو قدامه فقط ، لكن الله كل شيء واضح أمامه ، المستقبل كله واضح أمامه ويرى الخير ويرى الشر وعندما يسلم الإنسان حياته لله ، الله يديرها إلى الخير دائماً . .

## الفرح الدائم

حياة التسليم حياة مفرحة للإنسان يشعر فيها الإنسان أنه قد طرح عن كاهله عبءً ثقیل .

أكثر شئ يُتعب الإنسان ويشعره بالهم والحزن هو الشعور بعدم الاطمئنان وخاصة لأمر الغد والاهتمام بمستقبل العمل ومستقبل الأولاد والقلق من ناحية الصحة والموت .

من المؤكد أن مثل هذا الإنسان عندما يجد من یضمن له كل هذه سوف يعيش في سعادة حقيقية وفرح دائم .

الله موجود وهو وعدنا بأنه الراعي الصالح ، وهو قادر على تنفيذ مواعيده ، ولكن نجد العيب في الإنسان الذي يحتاج إلى إيمان كامل بالله وأن يكون لديه حياة تسليم كاملة لأرادته . .

العذراء القديسة مريم كانت من أمثال أبطال الإيمان وحياة التسليم الكامل لله لذا كان لسان حالها في كل المواقف هو ترنيمتها الجميلة " تبتهج روعي بالله مخلصي " (لو 1 : 47) .

حتى في وسط الضيق نجدها تتغنى مع داود النبي " عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي (مز 94 : 19) .

ما أجمل ما جاء عن تلاميذ رب المجد المكتوب عنهم " وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستاهلين أن يهانوا من أجل اسمه (إع 5 : 41)

أن القديسة العذراء كانت تعيش قول الوحي الإلهي من دون أن  
تقرأه " احسبوه كل فرح يا أخوتي حينما تقعون في تجارب  
متنوعة (يع 1 : 2)

## السلام الكامل

الذي يحيا حياة الإيمان ، يعيش في هدوء مسلماً بالكلية لله ،  
ويقبل كل شيء بإيمان من يديه الحائيتين ، فلا يضطرب لشيء ولا  
يتضايق ، بل يكون هادئاً في سلام باستمرار يقول مع داود النبي  
" وإن قام علي جيش ، ففي ذلك أنا مطمئن " .

بالإيمان يقول كما علمنا أبينا المتنيح البابا شنودة الثالث " كله  
للخير " . وأن حاقت به مشكلة ، يؤمن أن الله سيحلها ،

لذلك يبقى قلبه هادئاً ، وإن أتعبه الضيقات يقول " مصيرها  
تنتهي " فيهدأ قلبه . .

وبعكس ذلك من يبعد عن حياة الإيمان والتسليم ، تتعبه أفكاره  
ولا يهدأ أبداً . وإن أمت به المشاكل ترهقه إرهاقاً ، لأنه لا  
يضع أمامه معونة تأتي من فوق .

هكذا وجدنا أمنا العذراء القديسة مريم لم تفقد هدوئها  
وسلامها مهما مرت بها الظروف والمشقات .

## البركة العظيمة

القديسة العذراء مريم هي أقوى مثال لحياة البركة التي تنتج عن حياة الطاعة والتسليم الكامل .

ما أعظم البركات الفريدة التي حظيت بها والدة الإله القديسة مريم، فهي فقط استحققت أن تحمل في بطنها أقتومياً الله الكلمة المتجسد وأن يحل عليها الروح القدس وأن تظل لها قوة العلي .

هي فقط استحققت لقب " والدة الإله " ، هي فقط استحققت أن تقول من قبل الروح القدس " فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني (لو 1 : 48) .

هي فقط استحققت أن تعلق فوق الشاروبيم والسارافيم، وغير ذلك الكثير من البركات استحققتها هذه القديسة العذراء لأنها عاشت حياة الإيمان والتسليم الكامل .

لقد انطبقت على القديسة مريم ما انطبق على أبينا يوسف الصديق المكتوب عنه " وكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل (تك 39 : 5) .

السيدة العذراء بشفاعتها وطلباتها بركة الرب لم تصل البيت والحقل فقط بل وصلت إلى كل العالم وفي كل بيت بركتها موجودة، وذلك لفضائلها التي تحلت بها والتي من أهمها حياة الطاعة والتسليم الكامل لإرادة الله .

لقد انطبق عليها قول الرب لأبينا إبراهيم " فأجعلك امة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة (تك 12 : 2)

فإن كانت هذه البركة لأبينا إبراهيم الذي من نسله يأتي السيد المسيح فكم تكون البركة التي تستحقها التي استحققت أن تحمل في بطنها السيد المسيح .

أن أبينا إبراهيم قد نال البركة أيضاً نتيجة لإيمانه وحياة التسليم الكامل الذي كان يعيشها ، هكذا السيدة العذراء التي من خلالها تم ما وعُد به أبينا إبراهيم .

## التكريم الفائق

من العذراء مريم تتعلم أنه كلما سلم الإنسان حياته لربنا بأمانة يمنحه الله كرامات، ولأن العذراء مريم كانت أكثر البشر رفعة في تسليم حياتها لربنا لذلك نالت كرامات لم ينالها ولن ينالها أحداً غيرها .

الله قد كرمها بأن جلست اليمين عن يمين الملكة، وهي الوحيدة التي لم يسمح الرب لجسدها بأن يري فساداً بعد نياحتها والكنيسة تعيد لصعود جسدها في السادس عشر من شهر مسري .

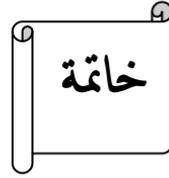
كذلك شفاعتها فنحن نطلب شفاعتها ليس قبل كل البشر فقط بل قبل السمائيين ونحن نطوبها في تسابيحنا قائلين " أنت أرفع من

السمايين وأجل من الشاروبيم، وأفضل من السيرافيم، وأعظم من طغمت الملائكة الروحانيين .

العدراء القديسة مريم يكاد لا تخلو مدينة من كنيسة علي اسمها ،ولا يخلو بيت من فتاة تسمى باسمها ،وإن لم تكن الشفيعة الوحيدة لكل شخص فينا فهي الشفيعة الأولى .

بل لا تكاد صلاة من صلواتنا تخلو من تطويب العدراء القديسة مريم نطلب شفاعتها وطلباتها وصلواتها عند ابنها الحبيب ،فها هوذا قطع الأجيبة وصلوات القداس والتسبحة لا تخلو من تجيد لها .

حقاً بقدر صمت القديسين وتواضعهم وتسليم حياتهم لربنا تكون عظمتهم ويكون مجدهم .



في نهاية كلمتنا المتواضعة لا يمكننا إلا أن نذكر أن حياة التسليم كما يريد لها لنا السيد المسيح وكما عاشتها السيدة العذراء بعيدة كل البعد عن التواكل والكسل، ولكننا نؤمن أن إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبده نقوم ونبني ((نح 2 : 20)).

النعمة وعمل الله في حياتنا لا يمنع حياة الجهاد والعمل، لكننا لكي نجاهد ونحن فرحين وفي سلام يجب أن نعيش حياة التسليم.

السيدة العذراء كانت عنصراً إيجابياً في كل حياتها، في الهيكل كانت تخدم، كذلك في بيت يوسف، لا ننسى عرس قانا الجليل

،وفي بيت يوحنا ،حتى في عصر الرسل كانت تقوم بخدمة  
الرسل القديسين كأُم لهم جميعاً .

الله قادر أن يعطينا ولو جزء يسير من حياة التسليم الكامل التي  
عاشتها أُمنا العذراء القديسة مريم لكي نستطيع أن نعيش حياة  
ملؤها الفرح والسلام .